الباب الأول

مكة .. أطهر بقاع الأرض

مكة مدينة كرمها الله فهى تحتضن بيته الحرام ، وزاد شرفها عندما شاءت حكمته أن تكون الأرض التى ولد بها خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ وشهدت أول نزول الوحى يوم جاء الأمين جبريل غار حراء يحمل كلام الله إلى رسوله ليكون للعالمين بشيراً ونذيراً وقد جعل سبحانه وتعالى بيته العتيق قبلة لعبادة المسلمين يستقبلونه فى صلواتهم ودعائهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

الفصل الأول

أسماء مكة

ولأن مكة هي البلد التي شرفت بوجود الكعبة المشرفة بها ، وجعلت حرما آمنا . فقد تعددت أسماءها وذكرها الله ﷻ بأسماء عديدة نذكر منها :

(مكة ، بكة ، البلد الأمن ، البلد الأمين ، أم القرى ، أم رحم ، مصبط الوحي البلدة ، البلد ، النساسة ، الناصة ، البشاشة ، كوبصا ، الحاطمة ، ماكورابا) .

وأشار ﷻ إليها في مواضع عديدة في كتابه الكريم بأسماء أخرى وأقسم بها جل شأنه فحظيت بما لم تحظ به بلد غيرها ..

وذكر ابن كثير أسماء وقال : وقد ذكروا لمكة أسماء كثيرة :

(مكة ، بكة ، والبيت العتيق ، والبيت الحرام ، والبلد الأمين ، والمأمون وأم رحم ، وأم القرى ، وصلام ، والعرش على وزن بدر ، والفارس لأنها تطهر من الذنوب ، والمقدسة ، والناصة بالنون وبالياء أيضا الياسة ، والحاطمة ، والرأس وكوثا ، والبلدة ، والبنية ، والكعبة)[1]

١- ابن كثير م١ ص ٣٨٤

مكة :

تقع مكة المكرمة عند تقاطع درجتى عرض ٢١/٢٥ شمالا والطول ٣٩/٤٩ شمالا ، ويعتبر هذا الموقع من أصعب التكوينات الجيولوجية فأغلب صخورها جرانيتية شديدة الصلابة ، وهى ترتفع عن سطح البحر إلى أكثر من ثلاثمائة متر .

ويحتضن مكة وادى إبراهيم الذى ينحصر بين السلسلة جبال متقاربة من جهات الشرق والغرب والجنوب حيث تتألق السلسلة الشمالية من جبل "الفلق" وجبل "كدى" وجبل "أبى قبيس" فى الجنوب الشرقى ثم جبل "خندمة" .

ولمكة المكرمة ثلاثة مداخل رئيسية هى "المعلاة" وتعرف باسم "الحجون" " والمسفلة" و" الشبيكة " .

وقد تعارف الناس على أن " المعلاة " هى كل ما ارتفع من مستوى أرض المسجد الحرام ، " والمسفلة " هى كل ما كان دونه .

حرمتها :

حرم الله ﷻ مكة دون سائر البلاد لما لها من مكانة عظيمة وقداسة جليلة جاء فى الصحيحين عن أبى شريح العدوى أنه قال لعمر بن سعيد وهو يبعث إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير رضي الله عنه :

" ائذن لى أيها الأمير أن أحدثك قولا قال به النبى ﷺ عند فتح مكة سمعته أذناى ووعاه قلبى وأبصرته عيناى حين تكلم به أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال : " إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الأخر أن يسفك بها دما أو يقطع بها شجرة فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فيها . أى أخذ فيه بالرخصة فقولوا

لـه : " إن الله أذن لنبيه ولم يأذن لكم وإنما أذن لى فى ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس "[1]

سبب تسميتها بهذا الاسم :

اختلف الإخباريون فى كلمة مكة وذهبوا فى ذلك مذاهب شتى وفيما يلى نعرض مصدر اشتقاق كلمة مكة فى الروايات المختلفة :

اشتهرت مكة البلد الحرام موطن القبلة ومولد رسول الله ﷺ بهذا الاسم وفى التنزيل :

" وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا " الفتح / ٢٤

- ومكة كما فى القاموس من مكة أو امتكة وتمككة وتكمكة نصه جميعه .. ومنه مكة للبلد الحرام أو للحرام كله لأنها تنقص الذنوب أو تفنيها أو تهلك من ظلم فيها ..

وقال أبو بكر الأنبارى : سميت مكة لأنها تمك الجبارين ، أى تذهب نخوتهم .[2]

- ويقال : إنما سميت مكة لازدحام الناس بها من قولهم " قد امتك الفصيل ضرع أمه إذا مصه مصا شديدا " ويرد ياقوت على هذا التفسير بقوله " فغلط فى التأويل لا يشبه مص الفصيل الناقة بازدحام الناس وإنما هما قولان "[3]
- قال الشرقى بين القطامى : إنما سميت مكة لأن العرب فى الجاهلية كانت تقول لا يتم حجنا حتى نأتى مكان الكعبة فنمك فيه ، أى نصفر صفير المكاء حول الكعبة وكانوا يصرخون ويصفرون ويصفقون

١- متفق عليه .

٢- ياقوت معجم البلدان ، مادة مكة مجلد (٥)

٣- نفس المصدر فى ١٨١ ، ١٨٢

بأيديهم إذا كانوا بها . والمكاء بتشديد الكاف طائر يأوى الرياض . ويعلق ياقوت على هذا الرأى بقوله " والمكاء ، بتخفيف الكاف والمد الصغير ، فكأنهم كانوا يحاكون صوت المكاء ولو كان الصغير هو الفرض لم يكن مخففا "[1].

وقال قوم : سميت مكة لأنها بين جبلين مرتفعين عليها وهى فى هبطة بمنزل المكوك "[2] ، والمكوك عربى أو معرب قد تكلمت به العرب وجاء فى أشعار الفصحاء ..

قال الأعشى :

والمكاكى والصحائف من الفـ * ضة والضامرات تحت الرجال

ويذهب أهل اللغة إلى أنها سميت مكة لقولهم : " سميت مكة لأنها عبدت الناس فيها فيأتونها من جميع الأطراف من قولهم : أمتك الفصل أخلاف الناقة إذا جذب ما فيها جذبا شديدا فلم يبقى فيها شيئا "[3] ولما كانت مكة مكانا للعبادة فقد امتكت الناس أى جذبتهم من جميع الأطراف .

ويرى ياقوت أنها سميت مكة من :

- مك الثدى ، أى مصه لقلة مانها لأنهم كانوا يمتلكون الماء أى يستخرجونه
- وقيل : أنها تمك الذنوب أى تذهب بها كما يمك الفصيل ضرع أمه فلا يبقى فيه شيئا.
- وقيل : سميت مكة لأنها تمك من الظلم أى تنقصه .
- وقيل سميت بذلك لقلة مانها . أولأ تمك المخ من العظم ما ينال قاصدها من المشقة ، من قولهم مككت العظم إذا أخرجت ما فيه ، ومك الفصيل ضرع أمه إذا امتص كل ما فيه من اللبن وشربه أو لأنها تمك من ظلم

---

١ - نفس المصدر السابق

٢ - نفس المصدر السابق

٣ - ياقوت : معجم البلدان مكة مجلد ١٨٢/٥

فيها ، أى تهلكه وتنقصه ، أو لأن الناس كانوا يمكون فيها ويضحكون من قوله " وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية " الأنفال / ٣٥

أى تصفيقا وتصفيرا وهذا ضعيف من جهة اللغة والتعريف

بكة :

وورد فى القران الكريم اسم أخر لمكة هو بكة . فذكرت بكة فى قوله تعالى :

" إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه أيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين " آل عمران / ٩٧

وذكر ياقوت رواية أخرى عن مغيرة بن إبراهيم جاء فيها :

" أن بكة هو موضع البيت ومكة هو موضع القرية ".[١]

وقيل إنما سميت بكة لأن الأقدام تبك بعضها بعضا أمام البيت .

ونقل ياقوت عن يحى بن أبى أنيسة : أن بكة موضع البيت ومكة هو الحرم كله وعن زيد بن أسلم : أن بكة الكعبة والمسجد ومكة ذو طوى وهو بطن الوادى .[٢]

والذى ذكره الله تعالى فى قوله :

" وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا " الفتح / ٢٤

ويرى بعضهم أن بكة هى نفس مكة أبدلت فيها الميم باء على عادة أهل الجنوب ويعتقد الدكتور / جواد على أن بكة ليست سوى لهجة من لهجات القبائل التى تبدل الميم باء.[٣]

٢- الأزرقى أخبار مكة ١/١٨٨

٣- ياقوت نفس المرجع السابق

د- جوك على / ٤ / ١٨٩

وفى القاموس أيضا فى مادة " بك " ومنه بكة لمكة أو لما بين جبليها او للمطاف لدقها أعناق الجبابرة أو لازدحام الناس بها وقال ابن هشام أخبرنى أبو عبيده : أن بكة اسم لبطن مكة لأنهم يبتأكون فيها أى يزدحمون .[1]

وقيل أن بكة موضع بيت الله الحرام ومكة سائر البلد لقوله تعالى "

" إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين "

ال عمران ٩٦

ومنها أن بكة المسجد ومكة الحرم كله وتدخل فيه البيوت .

وقد بقيت كلمة " وادى بكة " فى التوراة على ما دخل فيها من التحريف والتغيير ، إلا أن المترجمين حولوها إلى " وادى البكاء " وجعلوها اسم نكرة يدل على علم ، وقد جاء فى مزامير داود ما نصه :

" طوبى لأناس عزمهم بك ، طرق بيتك فى قلوبهم عابرين فى وادى البكاء يعبرونه ينبوعا " (مزامير)[2]

وقد انتبه علماء اليهود بعد قرون إلى أن هذه الترجمة كانت خاطئة ، فقد جاء فى دائرة المعارف اليهودية اعتراف بأن واد مخصوص لا ما فيه ، وأن فى ذهن من صدرت عنه هذه العبارة صورة لواد له أوضاع طبيعية عبر عنها بهذه الكلمة .[3]

وقد كان ناقلو هذه الصحف إلى الإنجليزيه اكثر أمانه ودقة فى الترجمة من الذين قاموا بالترجمة العربية فقد تركوا كلمة " بكة " كما كانت فى الأصل وكتبوها بالحرف الاستهلالى كما تكتب الأعلام ، ففى الترجمة الإنجليزية كما يلى .[4]

١ـ الروض الأنف للسهيلى ١/ ١٢٦ .

٢ـ الكتاب المقدس فى مطبعتها فى ساحة استورين مدينة نيويورك ، لندن ١٨٠٤ م .

٤-lewisheacyclopdia fol.11p.٤١٥.

٣ مستفاد من " التفسير الماجدى " للأستاذ الكبير عبد الماجد الدربابادى ، وكتاب رحمة للعالمين للقاضى سليمان المنصور فوزى انظر السيرة النبوية للندوى / ٥٦

heart are the ways of them who passing through the fallevaf baca makeitawell . (psalms)(٥) .

ماكورابا :

وجاء ذكر مكة فى جغرافية بطليموس تحت اسم " MACORABA "[١] ومضاه مقدس أو حرم ، مما يستفاد منه ان مكة كانت فى أول عهدها مقاما دينيا وأنها كانت مركزا للعبادة قبل البعثة النبوية بزمن طويل ويبدوا أن هذا الاسم له علاقة بالبيت العتيق الذى كان سر شهرتها كعاصمة دينية فى الجاهلية ، فكلمة " ماكورابا " قرينة من مكرب التى عرفت عند العرب وتعبر عن لقب كان يحمله الكهنة فى سبأ قبل أن يتحولوا إلى ملوك ومن المرجح أنها تعنى " القرب إلى الله " لأنها مدينة مقدسة .

الناسة :

والناسة هو من نست الشىء إذا أذهبته .

فلقد بغت جرحهم بمكة واستحلوا حلالا من الحرمة فظلموا من دخلها من غير أهلها ، وأكلوا مال الكعبة الذى يهدى لها فرق أمرهم . فلما رأت بنو بكر بن عبد مناف بن كنانة وغبشان فنفوهم من مكة وكانت مكة فى الجاهلية لا تقر فيها ظلما ولا بغيا ولا يبقى فيها أحد إلا أخرجته ، فكانت تسمى : الناسة ولا يريدها ملك يستحل حرمتها إلا هلك مكانه[٢] .

١- جواد على تاريخ العرب قبل الإسلام ٤/١٨٨

٢- lammnes. bameepfeaafeilledelmegire p

٣- الروض الأنف للسهيلى ١ / ١٣٦

الباسة :

والباسة بالياء وهو من بست الجبال بسا أى فتت وثريت كما يثرى السويق .

وقيل : الباسة لأنها تبس أى تحطم الملحد وقيل تخرجهم .

أم رحم وأم القرى :

وسميت أيضا بأم رحم " وأم القرى "

ووردت بهذا الاسم فى قوله تعالى " ولتنذر أم القرى ومن حولها" الانعام / ٩٢

قال بعض العلماء سميت بذلك لأنها أقدم القرى التى فى جزيرة العرب واعظمها خطرا . إما لاجتماع أهل تلك القرى فيها كل سنة أولا لتجانهم إليها وتعويلهم على الاعتصام لها لما يرجونه من رحمة الله تعالى وقد وردت فى القرآن الكريم مرتين الأولى كما ذكرنا والثانية فى قوله تعالى " وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى " الشورى / ٧

معاد والحاطمة :

وسميت أيضا : معاد ، والحاطمة لأنها تحطم من استخف بها .

الرأس والحرام وصلاح :

وسميت بالرأس وصلاح . كما سميت أيضا بالحرم والبلد الحرام . كما ثبت فى الصحيحين أن هذا البلد حرمة الله يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة .

وقد ذكرنا الحديث أنفا فى حرمة مكة .

المحروم:

وسميت بالمحرم كما في قوله تعالى :

" رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ " " ١ "

العرش والقادس والمقدسة :

وسميت بالعرش لأنها حيال العرش ، والقادس لأنها تقدس أى تطهر من الذنوب .

كوثى:

وسميت بكوثى : وهى اسم بقعة كانت منزل بنى عبد الدار قديما .

وقيل كوثى : ربا هى التى يخرج منها الدجال ، ومنها كانت أم إبراهيم عليه السلام

وأبوها هو الذى احتضر نهر كوثى . " قاله الطبرى " .[٣]

البيت العتيق :

وسميت البيت العتيق لأنه عتق من الجبابرة . قال تعالى :

" وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ " الحج/٢٩

قال تعالى :

" ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ " الحج/٣٣

٣- الروض الانف للهيلى ١/ ١٣٩.

البلد :

قال تعالى :

" لا أقسمُ بهذا البلد وأنت حلٌّ بهذا البلد ووالد وما ولد لقدْ خلقنا الإنسان في كبد " البلد ١/٤

والبلد : هو مكة بيت الله الحرام أول بيت وضع للناس في الأرض ليكون مثابة لهم وأمنا يضعون عنده سلاحهم وخصومتهم ويلتقون فيه مسالمين : حرام بعضهم على بعض كما أن البيت وشجره وطيره وكل حي فيه حرام ثم هو بيت إبراهيم والد إسماعيل أبي العرب والمسلمين أجمعين .

البلد الأمين :

وسميت بالبلد الأمين كما في قوله تعالى

" والتّين والزّيتُون وطُور سينين وَهذا البلد الأمين" التين ١ - ٣

ويرجع سبب التسمية إلى أن أهلها كانوا يتقاتلون طوال العام ويحرمون القتال في الأشهر الحرم فتكون أمان لكل من فيها وكل من دخلها . حتى أنهم كانوا يحرمون على الابن قاتل أبيه وعلى الأب قتل من قتل ابنه ، ولأن أهلها كانوا آمنين في أنفسهم في الشهور من أعدائهم ومن الوحوش والأفاعي .. وغيرها

وقيل بأن الله قد حرم على المسيخ الدجال دخول مكة والمدينة وحرم فيها القتال والصيد لذلك سميت بالبلد الأمين .

وادى غير ذى زرع :

وتوصف بأنها واد غير ذى زرع . قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام :

" ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم " " إبراهيم ٣٧ "

مكرب :

ويذكر " برو كلمان " أن مكة مشتقة من مكرب أو مقرب العربية الجنوبية ومعناه الهيكل.[١] بينما يذكر آخرون أنها قد تكون مشتقة من مك فى البابلية بمعنى البيت .[٢] ويستفيد من جميع التسميات التى أطلقت على مكة أنها كانت فى أول أمرها مقاما دينيا أسسه إبراهيم ولهذا لا يستبعد أن يكون اسم مكة كان يعرف باسم مكرب أى مقدس ثم تحول إلى مكة .[٣] وهكذا تتعدد الأسماء وتعدد الأسماء دليل على شرف المسمى كما يقال .

١- برو كلمان تاريخ الشعوب الإسلامية ١١/ ٢٣٣

٢- جرجى زيدان : العرب قبل الإسلام / ٢٧٥.

٣- د / السيد عبد العزيز سالم : دراسات فى تاريخ العرب

الفصل الثاني

فضائل مكة

اختار الله ﷻ مكة واصطفاها ، وجعلها خير وأشرف بلاد الأرض وأحبها إلى الله، كما ثبت بذلك الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال ولو لي مكة :

" والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت "[1] .

وقد كتب علماء التاريخ والسيرة في أخبار مكة وفضلها شيئاً كثيراً بين المخطوط والمطبوع

(١) من ذلك كتاب " أخبار مكة " لأبي الوليد الأزرقي(توفي ٢٥٠)هـ ، وكتاب " أخبار مكة " للفاكهي(توفي ٢٧٥)هـ وكتاب العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين و " شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام " كلاهما للفقي قطب الدين (توفي ٨٣٢)هـ ، وكتاب " إتحاف الورى بأخبار أم القرى " لعمر بن فهد المكي (توفي ٩٧٢)هـ وغاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام لعز الدين المكي (توفي ٩٨٨)هـ ، والمنهج اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف لابن ظهيرة المخزومي

(توفي ٩٨٦)هـ والإعلام بأعلام بيت الله الحرام ، لقطب الدين النهروالي (توفي ٩٨٨)هـ ومفاتح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرام للسنجاري (توفي ١١٢٥) هـ ، ونور الوافد المنعمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، لمحمد قادر الاتاسي وكتاب الإعلام في مناسك الحج وطريق الحجاز ، لرضوان رضوان وقد ألف كتابه هذا سنة (١٣٤٥)هـ .

وقد عرضت هذه الكتب وغيرها بين مكثر ومقل لأخبار مكة المكرمة فتحدث مؤلفوها عن الحجر الأسود (أصله وفصله) ، وعن بناء بيت الله الحرام .

(نشأة وتاريخه) وعن كسوة الكعبة على مر العصور وتتابع الدهور وعن مقام إبراهيم وما يتعلق به وعن زمزم وما لها من الفضل والمنزلة والحكم ماتها وتحدثوا . كذلك عن الصفا والمروة والسعي بينهما وعلاقة تلك بقصة إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر

٤- رواه الترمذي

وكتبوا عن " منى ومزدلفة وعرفات " وذكروا المسافات بين مكة وهذه الأماكن ، ووصفوا أبواب الحرم وأسماءه ، وعدد هذا وهذا كما وصف بعضهم بعض الرحلات البرية القديمة على ظهور الإبل وشرحها على وجه التفصيل والبيان ووصف المتأخرون منهم الرحلات البحرية القديمة بالباخرة

وكان دافعهم جميعاً لتسجيل هذه الأخبار حبهم الشديد لبيت الله الحرام ومكة المكرمة والمشاعر المقدسة .

وأما عن فضائل مكة :

فقد ذكر العلماء لها من الفضائل والخصائص التى شرفها الله بها ولم يجعل شيئا منها لبلد سواه :

۞ أول مسجد وضع فى الأرض بعد :

وهو أول مسجد وضع فى الأرض كما فى الصحيحين عن أبى ذر ﷺ قال : سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع فى الأرض ؟

فقال : " المسجد الحرام " .

قلت : ثم أى ؟

قال : " المسجد الأقصى " .

قلت كم بينهما ؟ .

قال : " أربعون عاما "[1]

وفضائل هذا المسجد لا تخفى على أحد وكفاه فخرا أن الصلاة منه بمائة ألف صلاة كما جاء فى الحديث الصحيح وهذا يدل دلالة قاطعة على أن المسجد الحرام أفضل بقاع ومساجد الأرض على الإطلاق .

من جابر ﷺ أن الرسول ﷺ قال : صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه[2]

---

١ ـ متفق عليه

٢ ـ رواه أحمد وابن ماجة بإسنادين صحيحين

٥ أفضل الرسل أجمعين منها ..

ومن فضائلها أن الله قد اختار أفضل الرسل والنبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين منها ، واختاره لنزول أفضل كتبه على الإطلاق وهو القرآن الكريم والذكر الحكيم ففيها بدء نزول الوحي وشهدت أولى أحداث وقائع الرسالة ..

۞ مناسك للعباد ..

ومن خصائص البلد الحرام أن الله جعلها مناسك لعباده ، وأوجب على كل قادر ومستطيع للإتيان إليها من قريب ومن كل فج عميق فلا يدخلونه إلا خاشعين خاضعين كاشفي رؤوسهم متجردين من لباس وزينة الدنيا .

۞ حرماً آمناً ..

ومن فضائل البلد الأمين : أن الله قد جعله حرماً آمناً لا يسفك فيه دم ولا تعضد به شجرة ولا ينفر له صيد ولا يقطع نباته الرطب ، ولا تلتقط لقطته للتمليك بل للتعريف أبداً غير مقيد بزمن كلقطة غيره .

۞ يحط الخطايا ويمحو الذنوب ..

ومن فضائلها : أن الحج إليها وسيلة لحط الخطايا ومحو السيئات كما ثبت في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :" من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه "[1] أي بغير ذنوب ولا سيئات . وفي الصحيحين أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

" العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة "[2]

١- رواه البخاري ومسلم والنسائي وغيرهم

٢- متفق عليه

- **أقسم الله ﷻ بها ..**

ومن فضائل البلد الأمين : أن الله ﷻ قد أقسم به في موضعين من القرآن الكريم فقال تعالى :

" والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين " [1]

وقال أيضاً :

" لا أقسمُ بهذا البلد وأنت حلٌّ بهذا البلد " [2]

- **قبلة أهل الأرض :**

ومن فضائل مكة أن الله قد جعلها لأهل الأرض كلهم فليس على وجه الأرض قبلة غيرها وكل مصل وقائم وراكع وساجد لله يجب عليه أن يتوجه إليها في صلاته وإلا بطلت صلاته إذا توجه عامداً إلى غيرها مع قدرته على التوجه إليها .. قال تعالى :

" قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ " البقرة/ ١٤٤

وقد عد جمهور الفقهاء التوجه إلى القبلة من شروط صحة الصلاة .

- **يحرم استقبالها أو إستدبارها عند الغائط:**

ومن خصائصها : أنه يحرم استقبالها واستدبارها عند قضاء الحاجة دون سائر بقاع الأرض تشريفاً لها . لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " إذا جلس أحدكم لحاجته فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها " [3]

٣- التين / ١-٣

٤-البلد / ١-٢

٢- رواه أحمد ومسلم

- **أم القرى ..**

وقد سماها الله ﷻ أم القرى ، فالقرى كلها لها تبع .. إظهارا لمنزلتها وعظيم قدرها .

۞ يعاقب على الهم بالسيئات قبحا .

ومن خصائص البلد الحرام أنه يعاقب فيه على الهم بالسيئات وإن لم يفعلها قال تعالى :

" ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم " الحج / ٢٥

وعلى هذا تكون الحسنة فى الحرم مضاعفة والسيئة كذلك مضاعفة .

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله " أن السيئة فى حرم الله أعظم جرما من مثلها فى أى موضع آخر من الأرض " وقد جاء منصوصا من طريق ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال " من حج ماشيا كُتب له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم ، قيل : وما حسنات الحرم ؟

قال : " الحسنة فيه بمائة ألف حسنة "[١]

۞ تنوى إليه القلوب :

ومن أعظم ما يختص به البلد الحرام أن القلوب تهوى إليه والأفئدة تميل إليه فجذبه للقلوب أعظم من جذب المغناطيس للحديد فكم أنفق فى حب مكة من الأحوال والأرواح ورضى المسافر لها شوقا مفارقة الأهل والأحباب والأوطان وتحمل فى سفره صنوفا من العذاب والمشقة والهوان ، والسر فى ذلك أن جعل بيته الحرام مثابة للناس أى يقومون إليه على تعاقب الأعوام من جميع الأقطار ولا يقضون منه وطرا بل كلما سافروا إليه ازدادوا شوقا ومحبة إليه.

٤- لسند البزار _ للروض الأنف للسهيلى ج٢ /٢٣١

o أحب بلاد الله إلى الله .

لما خرج رسول الله ﷺ من مكة وقف على الحزورة وقال :

" إنى لأعلم أنك أحب البلاد إلى وأنك أحب أرض الله إلى الله . ولولا أن المشركين أخرجونى منك ما خرجت .

وقالت عائشة رضي الله عنها :

" لولا الهجرة لمكنت مكة فإنى لم أرى السماء بمكان أقرب إلى الأرض منها بمكة ولم يطمئن قلبى ببلد قط ما اطمأن بمكة ولم أرى القمر بمكان أحسن منه بمكة " .

وقال ابن أم مكتوم وهو آخذ بزمام ناقة رسول الله ﷺ وهو يطوف :

يا حبذا مكة من وادى = أرض بها أهل وعوادى .

أرض بها ترسخ أوتادى - أرض بها أمش بلا هادى .

ولما قدم الرسول ﷺ المدينة هو وأبو بكر وبلال فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول :

" كان أمرى مصبح فى أهله - والموت أدنى من شراك نعله " .

وكان بلال إذا انقشعت عنه رفع عقيرته .. وقال :

" ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة - بفخ وعندى أذخر وجليل " ؟

" وهل أردنا يوما مياه محنة - وهل يدون لى شامة وطفيل " ؟

ووقف رسول الله ﷺ عام الفتح على جمرة العقبة وقال :

" والله إنك لخير أرض الله وإنك لأحب أرض الله إلىّ ولو لم أخرج ما خرجت إنها لم تحل لأحد كان قبلى ولا تحل لأحد كان بعدى ، وما أحلت لى إلا ساعة من نهار ثم هى حرام بحرمة شجرها ، ولا يحنش كلا لها ولا تلتقط ضالتها إلا المنشد " .

فقال رجل : يا رسول الله إلا الأذخر فإنه لبيوتنا وقبورنا فقال ﷺ إلا الأذخر "[1]

وروى في الأثر أنه : " من صبر على حر مكة ساعة تباعدت عنه جهنم مسيرة مائة عام وتقربت منه الجنة مائة عام ، ووجد على حجر فيها كتاب فيه ".

أنا الله رب مكة الحرام وضعتها يوم وضعت الشمس والقمر وحففتها بسبعة أملاك صنفاء لا تزال أعشابها مباركة لأهلها في الحمأ والماء ، ومن فضائله أنه من دخله كان آمنا . ومن أحدث في غيره من البلدان حدثا ثم لجأ إليه فهو آمن إذا دخله فإذا خرج فيه أقيمت عليه الحدود ومن أحدث فيه حدثا أخذ بحدثه .

وقوله تعالى :

" وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا " القصص / ٥٩

وقوله تعالى :

" وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا " الأنعام / ٩٢ دليل على فضلها على سائر البلاد "

ومن شرفها أنها كانت لقاحا لا تدين لدين الملوك ولا يؤد أهلها إتاوة ولا ملكها ملك قط من سائر البلدان تحج إليها ملوك حمير وكندا وغسان ولخم فيدينون لحمص (وهو من الحماسة والتحمس : مذهب القرشيين المتشدد في الجاهلية ، وقد أبطله الإسلام) من قريش ويرون تعظيمهم والاقتداء بآثارهم مفروضا وشرفا عندهم عظيما ، وكان أهله آمنين يغزون ويتسبون ولا يستبون ولم تسب قرشية قط فتوطأ قهرا ولا يجال عليها السهام ، وقد ذكر عزهم وفضلهم الشعراء فقال بعضهم :

أبوا دين الملوك فهم لقاح * إذا هيجوا إلى حرب أجابوا .

١- متفق عليه

وقال الزبير : " فإن من بدر لرجل من بنى عوف كان قد هجا ابا جهل وتناول قريشا :

أتدرى من هجوت أبا حبيب * سليل خضارم سكنوا البطاحا .

أزاد الركب تذكر أم هشام * وبيت الله والبلد اللقاحا ؟

ومما زاد فى فضلها وفضل أهلها ومباينتهم العرب أنهم كانوا حلفاء متألفين ومتمسكين بكثير من شريعة إبراهيم عليه السلام ولم يكونوا كالأعراب الأجلاف ولا كمن لا يوقره دين ولا يزينه أدب ، وكانوا يختنون أولادهم ويحجون البيت ويقيمون المناسك ويكعنون قوتاهم ويغتسلون من الجنابة ، وتبرأ وامن الهر بزة " لاهى المجوسية والله أعلم " .

وتباعدوا عن المناكح فى البنت وبنت البنت والأخت وبنت الأخت غيرة وبعداً من المجوسية ، ونزل القرآن بتوكيد صنيعهم وحسن اختيارهم ، وكانوا يتزوجون بالصداق والشهود ويعلقون ثلاثا ، وذلك قال عبد الله بن عباس وقد سأله رجل عن طلاق العرب فقال :

" كان الرجل يطلق امراته تطليقه ثم هو أحق بها ، فإن طلقها اثنتين فهو أحق بها أيضاً فإن طلقها ثلاثاً فلا سبيل له إليها ولذلك قال الأعشى :

أيا جارتى بينى فإنك طالقه * كذلك أمور الناس غادٍ وطارقة .

وبينى فقد فارقت غيرى ذميمة * ومومقه منا كما أنت وامقة .

وبينى فإن البين خير من العصا * وآن لا ترى لى فوق رأسك بارقة .

الفصل الثالث

حرمة مكة المكرمة

إن مكة المكرمة كانت معلومة الحرمة في الجاهلية وصدر الإسلام وتحريم مكة المكرمة كان قبل إبراهيم عليه السلام بدلالة قوله تعالى على لسان إبراهيم : " رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ " - إبراهيم ٣٧ - وإبراهيم عليه السلام بعد بناءه البيت مع ولده إسماعيل عليه السلام أعلن تحريم مكة المكرمة ودعا ربه أن يجعلها بلداً آمنا فاستجاب الله تعالى له .

قال تعالى : " وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ " البقرة ٢٥

قال الله عز وجل : " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ " إبراهيم / ٣٥

ولما جاءت حادثة الفيل التي تحدث عنها القرآن الكريم :

" أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ "

الفيل من ١ إلى ٥

عظمت مكة في نفوس العرب وازدادت مكانتها رفعة خاصة بعدما علموا عن سبب هذه الحملة الشرسة كما عظمت مكانة أهل مكة خاصة عبد المطلب الذي لم يخرج من مكة حيث عظمت مكانته عند أهل مكة بالذات ، وقال الله تعالى على لسان رسوله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ : " إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا "

النمل / ٩١

وعن عبد الله بن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة المكرمة :

" إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة.." [1] .

وعنه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة المكرمة :

" إن الله حرم مكة فلم تحل لأحد قبلى ولا تحل لأحد بعدى وإنما أحلت لى ساعة من النهار لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها ولا تلتقط لقطتها إلا لمعرف " [2]

وقد أباح الشارع الحكيم لأهل مكة الأذخر حيث جاء فى حديث ابن عباس وكذا فى حديث أبى هريرة ﷺ فقال العباس :

" إلا الأذخر فإنه لقينهم وبيوتهم " .

وفى رواية : " فإنه لصاغتنا وقبورنا " وفى أخرى : " فإن نجعله لقبورنا وبيوتنا " فقال رسول ﷺ :

" إلا الأذخر " [3]

وقد جعل الله ﷻ أبغض الناس إليه الملحد فى الحرم فقال تعالى :

" إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِي وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ " الحج ٢٥

فمن هم فى الحرم بأمر فظيع من المعاصى الكبار من شرك أو بدعة أو معصية أو عمل سيئ أو ما يستحل فيه حرمة الحرم .. فما فوق ذلك عامدا ظالما أذاقه الله العذاب الأليم .. وهذا ما حدث مع أصحاب الفيل وغيرهم جعلهم الله عبرة ونكالا لكل من أراده بسوء .

---

[1] متفق عليه .

[2] متفق عله واللفظ للبخارى .

[3] متفق عليه .